ISSN: 2253-0347
مجلـة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 10 / العدد: 03 / السنة: 2021 / ص ص: 351-371

طقوس الموت لدى شعب لوه بجنوب نيانزا(كينيا)[1]

Death Rituals among the Lou in South Nyanza- Kenya

تاريخ الإرسال: 29/ 05/ 2021 تاريخ القبول: 13/ 06/ 2021 تاريخ النشر: 2021/09/18

محمد جلال حسين

جامعة القاهرة، مصر.، ***Email :*** mohamed.galal@cu.edu.eg

الملخص:

يعد لوه أحد الشعوب النيلية الغربية، وهذا الشعب لديه سلسلة من الطقوس والأعياد الخاصة بالموتى كوسيلة لإبراز احترامهم وتقديرهم للموتى. تهدف هذه المقالة إلى استعراض السمات الأساسية لطقوس الموت لدى شعب لوه، والاختلافات المتعلقة بطرق أداء الطقوس وعددها، والعوامل المسؤولة عن ذلك. وقد توصلت الدراسة إلى أن طريقة أداء طقوس الموت تختلف باختلاف السمات الشخصية للموتى، الانتماء الطوائفي الديني والأدوار الجندرية التي يقرها المجتمع. كما تعرضت طقوس الموت إلى التغيرات الاجتماعية والثقافية نتيجة عمليات العولمة والتحديث والتبشير المسيحي والانتشار الموسع للكنائس الأفريقية المستقلة.

الكلمات المفتاحية: لوه؛ جنوب نيانزا؛ طقوس الموت؛ التبشير المسيحي؛ الكنيسة الأفريقية المستقلة.

المؤلف المرسل: محمد جلال حسين، ***Email :*** mohamed.galal@cu.edu.eg

[1] هذا المقال مترجم بتصرف من المؤلف عن المقال الأصلي التالي: Wakana, S. (1997) Death and Rituals Among The Lou in South Nyanza, African Study Monographs, 18(3, 4): 213-228.

Abstract:

Luo, a Western Nilotic people, perform a series of rituals and many feasts for the dead because of their strong fear and respect for the dead. The paper describes several basic features of the rituals especially in connection with Luo gender relationship. There were differences found in the way how those rituals were performed, depending upon personal attributes of the dead, episodes of ancestors, and religious denominations. Socio-cultural changes were reflected in the rituals for the dead, brought about by modernizing and Christianizing processes, including intensified permeation of various Christian denominations in general, and African Independent Churches in particular.

Keywords: Luo; South Nyanza; dead Rituals; Christianization; African Independent Church

مقدمة:

يولي شعب لوه مزيد من الاهتمام بمكان الدفن مقارنة بغيرهم من المجموعات العرقية الأخرى في كينيا. وقد تجلى ذلك بوضوح في إحدى القضايا التي شهدتها المحكمة العليا في نيروبي والتي كانت تتعلق بالمشاحنات القائمة بين أرملة أحد الرجال وبين إخوته حول مكان دفن المتوفي. تلك القضية التي جعلت الكثير من الكينين يدركون جيدًا مدى انشغال شعب لوه بمكان الدفن.

ويعكس اهتمام شعب لوه بمكان الدفن احترامهم وتقديرهم للمتوفي. ويكلل هذا الاحترام أيضًا مجموعة الطقوس التي يقومون بها وقت الوفاة وأثناء عملية الدفن، حيث يمارس لوه أكثر من عشرة أنواع من الطقوس المتعلقة بالموت، والتي غالبًا ما تتم في مكان مولد المتوفي ومحل إقامة أسرته.

وبالنظر لطقوس الموت لدى شعب لوه لنجدها تختلف باختلاف كلاً من جنس المتوفى وجنس المشاركين في الطقوس. ويتم أداء تلك الطقوس بطريقة تعكس كيفية حدوث الوفاة، وطبيعة أفعال المتوفي سواء كانت صالحة أو سيئة.

لذا، جاء الهدف من تلك الدراسة متمثلاً في استعراض السمات الأساسية لطقوس الموت لدى شعب لوه، والاختلافات المتعلقة بطرق أداء الطقوس وعددها، والعوامل المسؤولة عن ذلك.

تم إجراء هذه الدراسة الميدانية خلال الفترة ما بين أكتوبر 1996 وفبراير 1997 في مقاطعة نيانزا التي تقع على بعد عشرين كيلومترًا جنوب شرق خليج هوما. وخلال فترة إقامة الباحث في كينيا والتي استمرت قرابة خمسة أشهر، حدثت إحدى عشرة حالة وفاة، وقد حضر بالفعل بعض الأجزاء من تلك الطقوس التي يتم إقامتها للمتوفي.

2-نبذة عن شعب لوه

يعد شعب لوه أحد الشعوب النيلية الغربية التي تعيش على شواطئ بحيرة فيكتوريا في غرب كينيا. وتنقسم أراضيهم إلى وحدات مجزأة وفقًا للعشائر والأنساب. ويتشابه السياق الثقافي والاجتماعي لشعب لوه إلى حد كبير مع السياق الثقافي والاجتماعي لقبيلة النوير (Evans-Pritchard, 1965; Southall, 1952). ويشتمل شعب على لوه العديد من العشائر، أهمها عشيرة كانياموا والتي تم إجراء الدراسة الميدانية بها.

ويتمثل النشاط الاقتصادي الرئيسي لهذه العشيرة في الزراعة، وخاصة زراعة الذرة، الفاصوليا، البطاطا الحلوة والفول السوداني. ويعمل الكثير منهم في الأنشطة التجارية البسيطة، حيث تقوم النساء ببيع المحاصيل والمنتجات المنزلية في الأسواق المحلية، بينما يقوم الرجال ببيع الصابون، الزيت، الخبز، البسكويت، وغيرها. بينما يعمل آخرون في مدن مثل خليج هوما ورونغو وكيسومو ونيروبي. أما فيما يتعلق بالثروة الحيوانية لديهم، فهي ليست كبيرة مقارنة بالجماعات والشعوب الأخرى، حيث لا يتعدى ما تمتلكه الأسرة الواحدة خمسة رؤوس من الماشية.

3-طقوس الموت لدى شعب لوه

يؤدي شعب لوه ما يقرب من أربعة عشر طقسًا للشخص المتوفى، ويتم تنفيذ جميع تلك الطقوس في حالة وفاة كبار السن من الرجال فقط، بينما يتم استثناء القيام ببعض الطقوس الأخرى وفقًا لبعض الاعتبارات الخاصة بالمتوفي كالعمر، الجنس والحالة الاجتماعية للمتوفى.

وفيما يلي استعراضًا لتلك الطقوس وطرق أدائها؛

(3-1) الطقس الأول: إعلان الوفاة

يدرك شعب لوه حدوث الوفاة من خلال سماع نويل ونحيب المرأة الطويل المرتعش، ويليه صوت الطبول. وغالبًا ما يتم الإعلان عن الوفاة في الصباح الباكر أو في المساء، ولم يتم الإعلان عنها في وضح النهار. ويتوقف تحديد موعد إعلان حالة الوفاة على بعض الاعتبارات كعمر المتوفي وجنسه ومهنته، ففي حالة وفاة طفل في الصباح يعلن خبر وفاته فوراً ويدفن جسده في صباح اليوم التالي، بينما إذا توفي أحد كبار السن أو العرافون في الصباح لن يتم الإعلان عن حدوث الوفاة وقتها؛ بل ينتظرون حتى غروب الشمس ويقومون بالإعلان بعدها.

(3-2) الطقس الثاني: انتظار قدوم الأقارب المغتربين عن الموطن الأصلي (budho)

يقيم الأقارب المباشرين للمتوفي (الزوج/ الزوجة، الوالدين، الأخوة والأخوات، أبناء العمومة) داخل منزل المتوفى لمدة تتراوح ما بين يومين لأربعة أيام حتى يوم الدفن. حيث يتم الدفن غالبًا بعد مرور هذه الأيام لتتاح الفرصة للأقارب الذين يعيشون في المدن للعودة إلى موطنهم الأصلي لحضور طقوس الوفاة.

وخلال هذا الطقس، يتم إضاءة المنزل بالإضاءة المنخفضة كما يتم وضع الحصير الإفريقي والمقاعد الكافية لعدد الأقارب وأعضاء الكنيسة والزوار داخل المنزل وخارجه، كما يتم إشعال النيران للتدفئة نظرًا لانخفاض درجة الحرارة ليلاً. وفي حالة حضور زوار جدد من أجل التعزية، يجب على البعض الخروج لإفساح المجال. ويكون

هناك تجمع خاص بالرجال وأخر خاص بالنساء، وخلال هذا التجمع يستمر البكاء والرثاء للمتوفي وإنشاد الأغاني المسيحية في حالة انتماء المتوفي للكنائس البروتستانتية والكاثوليكية، أما إذا كان المتوفي ينتمي إلى الكنيسة الإفريقية المستقلة (Roho)، يقوم أقاربه بالصلاة والرقص والعزف على الطبول والآلات الموسيقية المعدنية طوال الليل.

وبمجرد دخول كبار السن من الرجال والنساء الزوار الذين ينتمون للكنائس البروتستانتية والكاثوليكية لمنزل المتوفي لتقديم التعازي يقومون بالبكاء والمناداة باسم الشخص المتوفي كما لو كانوا يتحدثون إلى الجسد.

وخلال اليوم التالي للوفاة، ينشغل أقارب المتوفى بالتحضير لمراسم الدفن كبناء المظلات، طهي الطعام للزوار وإعداد التابوت والملابس. وغالبًا ما يتم التفرغ لهذا اليوم من أعمالهم الخاصة حتى يقومون بالوفاء بالالتزامات تجاه المتوفي.

وفي هذا اليوم أيضًا، يتوافد الزوار والجيران لمنزل المتوفي لتوديعه للمرة الأخيرة، وغالبًا ما يكون هؤلاء الزوار والجيران من المتزوجين أو المقبلين على الزواج فقط. وبمجرد دخول النساء المتزوجات لمنزل المتوفي يقمن بإصدار صوتًا غريبًا مرتفعًا للإعلان عن وصولهن. بينما يقوم الرجال بالعزف بصفاراتهم وغناء أغاني الرثاء. ويقوم هؤلاء الزوار بالدخول مباشرة إلى منزل المتوفي دون إلقاء التحية على المتواجدين، ثم يصلون أو يغنون أو يبكون بطريقتهم الخاصة، وبعد الانتهاء يخرجون من المنزل ويقومون بإلقاء التحية على الآخرين والانضمام إليهم. وغالبًا ما يغادر الزوار بعد قضائهم ساعتين أو ثلاث ساعات في ساحة منزل المتوفي.

أما فيما يتعلق بأقارب المتوفي، فإنهم يجلسون خلال ساعات الحداد دون فعل أي شيء وهو ما يطلق عليه بلغتهم "بادهو" padho ، أي "الجلوس دون فعل أي شيء".

(3-3) الطقس الثالث: حفر القبر (kunyo)

اعتاد شعب لوه خلال العصور القديمة حفر القبر "كونيو" خلال النهار، ولكن خلال هذه الأيام يتم حفر القبر في منتصف الليل قبل يوم الدفن، وذلك لصعوبة حفر

القبر تحت أشعة الشمس القوية. وتبدأ عملية حفر القبر حوالي الساعة التاسعة مساءً ويستمر الحفر حتى الانتهاء منه حوالي الساعة الثالثة أو الرابعة صباحًا من يوم الدفن. وتستغرق عملية الحفر هذه المدة الطويلة بسبب الصخور الموجودة في التربة. ويقوم بعملية الحفر الأقارب الشباب ومتوسطي العمر وبعض الجيران.

ويتم تحديد المكان المناسب للقبر من قبل عضو الكنيسة أو أي من الأقارب الذكور للمتوفى. ولا يُسمح للرجال الذين لديهم زوجات حوامل بالمشاركة في حفر القبور. اعتقادًا بأن قيامهم بالمشاركة في عملية حفر القبر يترتب عليها ولادة زوجاتهم قبل الأوان. كما يُسمح للتوائم بالمشاركة في حفر القبر.

(4-3) الطقس الرابع: الدفن (iko)

عادة ما تبدأ طقوس الدفن " ايكو" بالنسبة للبالغين المتوفين في الساعة 2 ظهرًا. ويترأس طقوس الدفن الوالد أو أحد أشقائه. وتتضمن طقوس الدفن؛ إلقاء بعض الخطب عن ذكريات المتوفى من قبل الوالدين والإخوة والأخوات والأطفال والأصدقاء، وبعض الخطب السياسية التي يقوم بإلقائها رجال السياسة، فضلاً القيام بطلب جمع التبرعات لتغطية نفقات زيت المصباح والطعام وغيرها من الأشياء التي تستهلك في هذه المناسبة. وبعد الانتهاء من ذلك يتم دفن الجثة. ونظرًا لاستغراق هذه الخطب وقتًا طويلاً، تقوم أسرة المتوفي بتقديم الطعام لأقاربهم قبل أن تتم عملية الدفن، بينما الزوار القادمين للمشاركة في عملية الدفن يتم تقديم وجبة الطعام لهم عقب عملية الدفن. وتظل أسرة المتوفي مقيمه في منزله لمدة أسبوع عقب الدفن.

(5-3) الطقس الخامس: اصطحاب روح المتوفى إلى ساحة المعركة السابقة (tero buru matin)

يمثل هذا طقس "تيرو بورو ماتين" بداية فترة الحداد، ويتم إجراؤه عقب مرور أسبوع أو أسبوعين من عملية الدفن. وهو طقس قاصر على الرجال فقط من أقارب المتوفي والجيران والمشاركين. حيث يقوم هؤلاء الرجال باصطحاب ماشيتهم وماعزهم إلى منزل المتوفى في وقت مبكر من الصباح تقريبًا الساعة السابعة. ثم يتحركون بماشيتهم

وماشية المتوفي متجهين إلى ساحة المعركة السابقة الواقعة على طول الحدود بين العشائر في موكب بهيج ويقومون باستخدام الطبول وقرون الجاموس ووحيد القرن والنفخ بها لتحدث صوتًا. وهناك يقومون بعملية قتل ديك أو دجاجة دون استخدام السكين، ويقومون بتقسيمه وأكله ثم يعودون إلى منزل المتوفى.

وخلال عودتهم للمنزل ينضم إليهم المزيد من الرجال والنساء، وتقوم النساء بحمل الأغصان المورقة، بينما يقوم الرجال برفع رماحهم وارتداء القبعات التقليدية المصنوعة من جلود الحيوانات. وبمجرد الاقتراب من منزل المتوفى، يزداد الحماس لدى المشاركين بالطقس، فتزداد صرخاتهم وركضهم وترتفع أصوار الطبول والآلات الموسيقية.

وفي هذا الوقت يكون في انتظارهم أمام منزل المتوفي مجموعة أخرى من المشاركين لينضموا إليهم ويقومون بالدخول إلى منزل المتوفي. ويتدافع جميع المشاركين في الموكب أثناء الدخول إلى منزل المتوفي، وتستمر عملية دخولهم ما بين 20: 30 دقيقة، وبمجرد دخولهم يقومون بالصراخ والبكاء، وعقب الانتهاء يتم تقديم الطعام للمشاركين بالموكب. وفي بعض الأحيان يتم دعوة مجموعة من الموسيقيين لعزف الموسيقى التقليدية ورقص المشاركين على أنغام الموسيقيين.

وهذا الطقس يذكر شعب لوه بالحروب التي انخرط بها أجدادهم مع العشائر الأخرى. حيث كان الأجداد خلال فترات الحروب السالف الإشارة إليها يعتقدون أن وفاة أحد أعضاء جماعتهم سيترتب عليه انخفاض قوتهم القتالية، واعتقدوا أن خير وسيلة لتلافي هذا التضاؤل في القوة أن يتم قتل أحد أعدائهم تعويضًا لخسارتهم لقريبهم المتوفي. ولذلك كانوا يقومون في الصباح الباكر ليوم دفن المتوفي بتقسيم أنفسهم لفريقين، الفريق الأول يقوم بتجهيز القبر، بينما الفريق الثاني تم تقسيمه إلى فريقين فرعيين، الأول منهم يقوم بالتحري عن إمكانية التمكن من قتل أحد الأعداء من عدمه من خلال العراف، ويتكون هذا الفريق غالبًا من العرافين وبعض الماشية والديوك، ويقوم العراف بقتل الديك وتفحص أمعائه للتحري عن ما إذا كانت هناك فرصة جيدة

لقتل العدو من عدمه، بينما الفريق الفرعي الثاني يتكون من المقاتلين، والذين ينضمون إلى الفريق الفرعي الأول بمجرد عودته حاملاً بشارة الخير المؤكدة لإمكانيتهم من قتل أحد الأعداء، ويقوم الفريقان للاستعداد للقتال. وعقب الانتهاء يتم دفن المتوفي ظهرًا.

وتتجلى أهمية هذا الطقس لدى الأجداد القدامى من لوه في تأكيدهم عن خسارتهم لأحد أفراد مجتمعهم، ولطرد الأرواح الشريرة إلى الأدغال أو إلى الأعداء، وإزالة روح المتوفي من المنزل والتي لولا هذا الطقس لظلت باقية بالمنزل، فضلاً عن أن القيام بهذا الطقس يساهم في تزويدهم بأبطال حرب جدد يعوضون خسارتهم للمتوفي، كما يؤكد التضامن القائم بينهم والذي يتجلى في تناولهم للحم الديك المقتول في ساحة المعركة.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الطقس لا يعد من التقاليد الصارمة لدى شعب لوه في الوقت الحالي، لذلك لا يمارسه البعض.

(6-3) الطقس السادس: الحلاقة (liedo)

عقب مرور أربعة أيام من الدفن يقوم الناس بحلق رؤوسهم "ليدو" باستخدام شفرة حلاقة. كعلامة على بداية فترة الحداد. وعقب انتهاء فترة الحداد يتم حلق رؤوسهم مرة أخرى كعلامة لبداية حياة جديدة.

وهناك ثلاثة أنواع من الحلاقة التي تتم في هذا الطقس، الأولى مخصصة لزوج المتوفية وأطفالها، ويتم إجراؤها الحلاقة الثانية بعد أسبوع أو أسبوعين من عملية الدفن. أما الثانية، فهي مخصصة للأطفال؛ وتتم الحلاقة الثانية في غضون أسبوعين إلى شهر بعد الدفن. وبمجرد إتمام الحلاقة يصبح الأطفال أحرارًا ويمكنهم الخروج من منزل المتوفي وانهاء فترة الحداد. بينما النوع الثالث مخصص للأرملة، وبعد قيامها بالحلاقة الثانية يمكنها أن تختار الرجل الذي يتزوجها ويرثها (ميراث الأرملة).

ولكن في الوقت الراهن، لا يعطي لوه اهتمامًا بالحلاقة المذكورة سلفًا، ويقومون فقط بالحلاقة مرة واحدة فقط، ولا يقومون بإزالة كافة شعر الرأس؛ بل يقومون بقص جزء صغير من الشعر الموجود بالجزء الخلفي من رؤوسهم.

(7-3) الطقس السابع: رحيل المعزين إلى الوطن (Kee)

يشير "كي" إلى أفراد الأسرة الباقين على قيد الحياة والأقارب الآخرين العائدين إلى منازلهم. وتتم عملية الرحيل وفقًا للعمر، حيث يرحل أكبر سنًا أولاً، ثم الأصغر فالأصغر، حتى يغادر الجميع. وقد تتم هذه العملية برمتها في يوم واحد فقط، أو بضعة أيام، أو أسبوع، وذلك حسب عدد الأبناء والبنات في عائلة المتوفى. حيث يتوجب أن يغادر شخصًا واحدًا فقط في اليوم الواحد. وهناك بعض الأقارب الذين يغادرون مبكرًا وعدم الالتزام بفترة الحداد كاملة ولكن يتم ذلك بعد التأكد من قيامهم بعملية الحلاقة.

ويطلق على الفترة التي تستمر بين الوفاة وبين رحيل المعزين اسم "بوذا" والتي يعنى بها "فترة الحداد" أو "الجلوس دون فعل أي شيء"، لأنه يفترض أن يبقى الناس داخل منزل المتوفى دون القيام بأي عمل ذي قيمة.

(8-3) الطقس الثامن: تقديم وجبة للمتوفي من الأقارب (yaodhoot)

عقب عودة الأقارب إلى منازلهم يعودون مجددًا إلى منزل المتوفي بعد مرور وقت قصير، حيث تقوم النساء المتزوجات (واجوجوني) بجلب الطعام والقيام بإعداده لأقارب المتوفي (زوجاته/ أطفاله) المقيمين بالمنزل، ويقمن بدعوة الجيران لتقاسم الوجبة. وذلك اعتقادًا منهم بأن تناول الطعام في منزل المتوفي ومعه يساهم في ارضاءه. ويقومون بالاحتفال بهذه المناسبة من خلال الرقص والموسيقى وشرب البيرة المحلية كمحاولة من جانبهم لنسيان الحدث المحزن.

وتعني كلمة "ياوضوت" yaodhoot حرفيًا "فتح الباب"، ويقصد بها أن يبدأ أفراد أسرة المتوفي حياتهم الجديدة. ويشير البعض أن هذا الطقس لا يتم في حالة وفاة العزاب، حيث أنهم ليس لديهم زوجة أو أطفال يجب أن يعيشوا في منزله عقب وفاته.

في الوقت الحالي، يتم هذا الطقس في حالة وفاة أي شخص بالغ، حيث تقوم أسرته بذبح أحد ماشيتهم أو شراء الأسماك واللحوم من السوق والقيام بإعدادها وتقديمها للضيوف.

(3-9) الطقس التاسع: تقديم وجبة للمتوفى من الأبناء (Tedo)

يقصد بالتيدو Tedo "الطهي"، وهو طقس غالبًا ما يتبع طقس "الياوضوت". وخلاله يقوم الأبناء والبنات بالذهاب إلى منزل والديهم ليطبخوا للأم أو الأب المتوفى. ويساهم كلاً منهم بكمية معينة من الطعام المفضل لدى الأسرة (لحوم، أسماك، سكر) حسب مقدرتهم. ويتوجب أن يقوم الأبن أو الأبنة الأكبر سنًا بإشعال موقد الطهي، ويتوجب أن يتم طهي الطعام الذي قام بإحضاره أولاً.

ويقوم الأبناء والبنات بإبلاغ أقاربهم بهذا اليوم الذي سيقام به الطقس قبل عقده بفترة، ويحضر الأقارب خلال هذا اليوم للاحتفال مع الأبناء والبنات كوسيلة لجمع شمل العائلة.

(3-10) الطقس العاشر: الذهاب إلى ساحة المعركة السابقة مع روح المتوفى (tero buru maduong)

يتم القيام بطقس "التيرو بورو مادونج" فقط عند وفاة أحد كبار السن من الرجال، ويتم تنفيذه على نطاق أوسع بكثير من طقس "التيرو بورو ماتين" السابق. وخلال هذا الطقس يقوم أقارب المتوفي باصطحاب ماشيتهم والذهاب إلى ساحة المعركة السابقة بنفس الطريقة التي يتم تنفيذها في طقس البورو السابق، ولكن في هذه المرة لا يقومون بقتل الديك في الميدان. وعند عودتهم لمنزل المتوفي يجدون في انتظارهم عدد أكبر بكثير من الأشخاص وطعام أكثر بكثير مما كان يحدث في البورو الصغير. ويقوم بعد

ذلك أقارب المتوفي بذبح عدد كبير من رؤوس الماشية والماعز، ويقومون بتقديم المشروبات الكحولية المحلية للزوار، ويقومون أيضًا بدعوة الموسيقيين والراقصين التقليديين لإحياء الاحتفال.

وخلال هذا الطقس يتم جمع أكبر قدر من الطعام والتبرعات لتغطية النفقات الخاصة بالاحتفال، وغالبًا ما يتم تحديد موعد انعقاده عقب موسم حصاد المحاصيل حتى يتثنى لهم إعداد الطعام والشراب اللازم للاحتفال.

(11-3) الطقس الحادي عشر: زيارة الأرملة لمنزل والديها (tero cholla)

بمقتضى طقس "تيرو تشولا" تنهي الأرملة فترة حدادها على زوجها المتوفي، وتبدأ حياتها الجديدة مع شريك جديد. ويوجب على الأرامل أن يفكروا جيدًا في الشريك الجديد (وريث الأرملة) قبل يوم انعقاد هذا الطقس. ويبدأ هذا الطقس بقيام الأرملة باصطحاب ابنها الأكبر والقيام بزيارة منزل والديها، وقضاء ليلة واحدة فقط هناك. وفي اليوم التالي، وقبل مغادرتهم للمنزل، يتم ذبح ماعز يطلق عليه بلغتهم "تشولا"، ويقوم والدا الأرملة بتناول جزء من لحم الماعز المذبوح، بينما تقوم الأرملة بأخذ باقي اللحم إلى منزلها.

ويقوم الشريك الجديد الذي اختارته الأرملة (وريث الأرملة) بالمبيت في منزل الأرملة أثناء فترة زيارتها لوالديها. وبمجرد عودة الأرملة، تقوم بطبخ اللحم الذي أحضرته، ثم يقوم الوريث والأرملة بتناول اللحم المطهي معًا ثم تتم الممارسة الجنسية بينهما. وعقب ذلك يتوجب على الوريث إثبات قدرته على رعاية الأرملة ولكي يثبت ذلك يشرع ببناء منزلهم الجديد وذلك بساعدة الأرملة. وذلك يحدث في حالة كون الأرملة في سن الشباب.

أما بالنسبة للأرامل كبيرات السن واللاتي لا يتمكن من ممارسة الجنس، يقمن باختيار وريث من نفس سنهم، ويقوم هذا الوريث بإشعال موقد الطهي وينتظر مجيئها، وبمجرد حضورها تقوم بطهي الطعام ويتناولنه معًا ثم يقضون الليلة دون ممارسة الجنس. وفي هذه الحالة، يتوجب على الوريث أن يحتفظ بممتلكاته داخل منزل الأرملة

حتى يدرك الزوار أن الوريث والأرملة العجوز سوف يظلان معًا ويحبان بعضهما البعض. ولكن ذلك لا يحدث في حالة كون الأرملة في سن الشباب، فمن المستحيل عمليًا ألا يمارس الوريث الجنس معها.

أما في حالة وفاة الزوجة، يقوم الزوج بقضاء فترة الحداد وبعدها يقوم باصطحاب أبنائه إلى منزل والدي الزوجة المتوفية، ويمكثون هناك ليلة واحدة ويعودون إلى منزلهم في اليوم التالي وبصحبتهم دجاجة يقوم بإعطائها لهم والدا الزوجة المتوفية. وإذا كانت للزوجة المتوفاة إحدى الأخوات غير المتزوجات، يقوم والديها بتزويجها من زوج أختها المتوفاة، حيث تقوم هذه الفتاة بالذهاب إلى منزل اختها المتوفاة لتقيم به وترث كل ما كانت تملكه أختها وتصبح زوجة جديدة للرجل. أما في حالة زواج الرجل من امرأة أخرى غير أخت زوجته المتوفاة، يتوجب عليه أن يقوم ببناء منزل جديد لها.

(3- 12) الطقس الثاني عشر: تقسيم التركة التي خلفها المتوفى (keyo nyinyo)

في هذا الطقس يقوم أقارب المتوفي بتقسيم ما تركه المتوفي من ملابس، أثاث، وأواني الطبخ. ولكن لم يتم تقسيم الأرض والماشية التي تركها المتوفي بين الأبناء الأحياء في ذلك اليوم، بينما يتم ذلك في يوم آخر.

ويتوقف مقدار ما يتركه المتوفي أو المتوفية على عمرهم عند الوفاة، حيث نجد أن النساء المسنات يتركن وراءهن العديد من أواني الطهي والشرب مقارنة بالنساء صغيرات السن. كما يترك الرجال الأكبر سناً الملابس، الحراب، الدروع، والعباءات، جلود وقرون الحيوانات التي قام باصطيادها.

(3-13) الطقس الثالث عشر: الأذكار (rapar)

يقوم أقارب المتوفي بالتجمع في منزله لتذكر المتوفى وتعزيته وإرضائه. حيث يأتي الآباء والأبناء والإخوة والأخوات وأقرباء المتوفى، ويقومون بدعوة جيران المتوفي ويتناولون الطعام معًا، ثم يقومون بالرقص الذي يستمر طوال الليلة.

وفي حالة هدم منزل المتوفي واختفاء أثره، يمكن للأقارب بناء كوخ مؤقت صغير (أكومبا). ويتوجب على بنات المتوفي المتزوجات (واجوجوني) بمجرد وصولهن الدخول إلى الكوخ ووضع أمتعتهن وملابسهن بداخله كعلامة على تحية المتوفي. ثم يشرعون في الطهي في مساحة صغيرة داخل الكوخ ويقطعون لحم الحيوان المذبوح من أجل المتوفي، ثم يجتمع الأقارب والجيران المدعوون لتناول الطعام معًا حول الكوخ. ويجب أن ينام (زوج/ زوجة) (المتوفي/المتوفاة) داخل الكوخ أثناء هذه الليلة. وفي اليوم التالي، يقوم الزوج أو الزوجة للمتوفي أو المتوفية بهدم الكوخ.

ويتوقف عدد مرات عقد هذا الطقس على الموارد المالية المتاحة لدى أقارب المتوفي، حيث يتطلب هذا الطقس نفقات باهظة.

(3- 14) الطقس الرابع عشر: تقديم وجبة لعائلة المتوفى من قبل الأقارب (budho)

يقوم بتنفيذ هذا الطقس أقارب المتوفي، ويتم تقديمه إلى أسرة المتوفي الباقين على قيد الحياة تأكيدًا من جانبهم على استمرار العلاقة فيما بينهم حتى بعد وفاة الوسيط بينهم. ويقوم الأقارب بتحديد يوم تنفيذ هذا الطقس بمجرد إعداد ما يكفي من المال والطعام اللازم لإحياء هذا الطقس. لذلك، قد يحدث طقس "البودو" قبل عقد طقس "الرابار". وفي هذا اليوم، يتوجه الأقارب إلى منزل المتوفي حاملين معهم الطعام والشراب اللازم لإحياء الطقس، وغالبًا ما يتوجهون لمنزل المتوفي عقب غروب شمس اليوم السابق ليوم إحياء الطقس والبقاء دون نوم حتى يوم الطقس. وبعد الانتهاء من الطقس يعودون إلى منازلهم.

(4) العوامل المحددة لطريقة أداء طقوس الموت وعددها.

بعد الاطلاع على الدراسة الميدانية التي قام بها المؤلف الأصلي للمقال، تبين أن هناك اختلافات في إجراءات الطقوس خاصة فيما يتعلق بعدد الطقوس التي يتم تنفيذها وطرق تنفيذ وأداء تلك الطقوس. وهذا الاختلاف يعزو في المقام الأول إلى عدة عوامل، أهمها؛ (السمات الشخصية للمتوفي (الجنس، العمر)، (2) الاقتضاء بما تم تنفيذه مع الأسلاف، (3) الانتماء الطائفي الديني، (4) الأدوار الجندرية.

وفيما يلي استعراضًا لأهم تلك العوامل والاختلافات الناجمة عنها؛

(1-4) السمات الشخصية للمتوفي

يقوم منظمو الطقوس بتفحص السمات الشخصية للمتوفي، حيث يقوم بتفحص عمر وجنس المتوفي، وفي ضوئها يقوم بتحديد نوعية الطقوس وطريقة أدائها،

(1-1-4) بالنسبة للطفل الرضيع

لم يتم تنفيذ أي طقس من طقوس الموت في حالة وفاة الطفل الرضيع، لكون هويته الجندرية لم تحدد بعد لصغر سنه. ويتم تنظيم طقوس الدفن فقط.

(2-1-4) بالنسبة للذكور

(1-2-1-4) الرجل العجوز المتزوج ولديه أطفال

يتم تنفيذ جميع الطقوس المذكورة سلفًا. حيث يتم الإعلان خلال الفترة ما بين غروب الشمس وشروقها، ثم يتم الدفن في فترة ما بعد الظهر وليس في الصباح.

ويتوقف تحديد مكان الدفن وكيفية وضع الجسد على الجنس. حيث يتم دفن جثة المتوفي الذكر على الجانب الأيمن من منزل زوجته الأولى (يتم تحديد الاتجاه وفقًا للوقوف على باب منزل الزوجة الأولى) لكونها الزوجة الحقيقية وبقية الزوجات ليسوا كذلك. ويتم وضع الجسد بمثل هذه الطريقة ليصبح مواجهًا لبوابة منزله وحتى يتثنى له رؤية المنزل بأكمله. وفي حالة هدم منزل الزوجة الأولى لوفاتها قبل وفاة زوجها المتوفي حديثًا، يقوم أبناء وأقارب المتوفى ببناء كوخ مؤقت، ويقومون بدفنه على الجانب الأيمن له. وفي معظم الحالات يحاول الزوج وأبنائه الحفاظ على منزل الزوجة الأولى بعد وفاتها حتى يتمكن أبناءه من دفنه عقب وفاته.

ويتوجب على زوجة أو زوجات المتوفي حلق رؤوسهن، كما يتوجب عليهن بمشاركة بنات المتوفي وأخواته المتزوجات القيام بطقس "التيدو" و"الياوضوت". أما بالنسبة لطقس "التيرو تشولا" (زيارة الأرملة لمنزل والديها وتحديد الوريث)، تقوم كل

زوجة من زوجات المتوفي بارتداء ملابس زوجها المتوفى والقيام بزيارة منزل والدها برفقة ابنها الأكبر، وبمجرد وصولها تخلع ملابسها، وتبقى لليلة واحدة، ثم تغادر في اليوم التالي وبصحبتها العنزة وتعود إلى المنزل.

(4-1-2-2) متزوج ولديه منزل

يتم تنفيذ جميع الطقوس المذكورة سلفًا باستثناء طقس "بورو مادونج" (طقس الذهاب إلى ساحة المعركة السابقة مع روح المتوفى) لكون هذا الطقس قاصرًا على كبار السن فقط. وفي حالة وفاة الرجل وليس لديه أطفال، يحل محل عدم وجود أطفال والدته مع زوجته في طقس "الليدو" (الحلاقة)، حيث تقوم والدته بحلق رأسها هي وزوجته. كما تحل أخواته المتزوجات محل عدم وجود الأطفال في كلاً من طقسي "التيدو" والياوضوت". بينما في طقس "التيرو تشولا" تذهب الزوجة بمفردها إلى منزل والديها.

(4-1-2-3) متزوج وليس لديه منزل

يتم تنفيذ جميع الطقوس المذكورة سلفًا باستثناء طقس "بورو مادونج" (طقس الذهاب إلى ساحة المعركة السابقة مع روح المتوفى).

ونتيجة لعدم وجود منزل خاص أو حتى كوخ (سيمبا) للمتوفي، يتم دفنه على الجانب الأيمن من منزل أمه. وفي حالة وفاة الرجل الذي لا يملك منزلاً قبل زوجته، يقوم أقاربه ببناء كوخ صغير مؤقت له (أكومبا) بجوار منزل والدته، ويتم دفن زوجته على الجانب الأيسر من هذا الكوخ عند وفاتها.

(4-1-2-4) الذكر البالغ غير المتزوج

يتم تنفيذ كافة الطقوس التي يتم تنفيذها في حالة وفاة المتزوج بدون منزل. وتقوم أخواته المتزوجات بتأدية طقسي "الياوضوت" و"التيدو". أما فيما يتعلق بطقس "التيرو تشولا" تقوم والدته بزيارة منزل والديها، وتقوم بالحصول على العنزة في حالة ما

إذا كان المتوفي هو الأبن الأكبر لها، ولكن لا تحصل عليها إذا كان المتوفي أي من أبنائها الأصغر سنًا.

(4-1-2-5) الصبي غير المتزوج

لم يتم تنفيذ أي طقس من طقوس الموت، ويتم فقط دفنه على الجانب الأيمن من منزل والدته. وفي بعض الحالات يقوم والديه بالحلاقة خلال فترة الحداد.

(4-1-2) بالنسبة للإناث

(4-1-2-1) المرأة العجوز المتزوجة ولديها أطفال

يتم تنفيذ جميع طقوس الوفاة كما هو الحال في حالة وفاة الرجل العجوز باستثناء طقس "البورو". ويتم دفنها على الجانب الأيسر من منزلها ورأسها مواجه لها، ويتم وضع جسدها جانبياً على كتفها الأيمن. وفي طقس "الليدو" يقوم زوجها وأطفالها بحلق رؤوسهم. ويقوم الزوج بتنظيم طقس "التيدو" بينما أقاربها وخاصة والدتها وأخواتها وزوجات إخوتها بتنظيم طقس "الياوضوت" بالقرية التي ولدت بها. أما فيما يتعلق بطقس ""تيرو تشولا"، فيقوم الزوج باصطحاب أبنه الأكبر متوجهًا إلى منزل والديها مرتديًا ملابس زوجته المتوفاة، ويقضيان ليلة واحدة، ثم يعودون في اليوم التالي، تاركين ملابسها في منزل والديها، ومصطحبين معهم الماعز.

وفي حالة وفاة المرأة ولم يسبق لها الانجاب، فإن زوجها وحده هو الذي يحلق رأسه في طقس "الليدو"، ويذهب بمفردة إلى منزل والديها في طقس "تيرو تشولا".

(4-1-2-2) المرأة المتزوجة ولديها منزل

تقام نفس الطقوس الخاصة بالمرأة العجوز. ولكن في حالة عدم دفع زوجها أي مهر لوالديها عند زواجه منها، فعليه أن يعطيهما على الأقل بضعة رؤوس من الماشية قبل أن يدفنها.

(4-1-2-3) المتزوجة التي ليس لزوجها سكن خاص به

تقام نفس الطقوس الخاصة بالمرأة العجوز. ويتم دفنها على الجانب الأيسر من الكوخ الصغير لزوجها المقام بجوار منزل والدته، بينما يدفن زوجها على الجانب الأيمن من منزل والدته.

(4-2-1-4) الزوجة الأولى (ميكايي)، الزوجة الثانية (نياشيرا)، الزوجة الثالثة (ريرو)، إلخ.

تقام نفس الطقوس الخاصة بالمرأة العجوز كاملة للزوجة الأولى فقط، لكونها الزوجة الحقيقية الوحيدة والباقي ليسوا كذلك. لذلك لم تحظ بقية الزوجات بإقامة كافة طقوس الموت.

(5-2-1-4) امرأة بالغة غير متزوجة

يعد مكان دفن المرأة غير متزوجة المتوفاة مشكلة تواجه شعب لوه، حيث أنه ليس من المفترض أن تدفن النساء البالغات في منزل والديها. وفي هذه الحالة يطلب والداها من أحد أزواج شقيقاتها الأكبر سناً أو أحد الرجال المهاجرين إلى مجتمعهم أن يقوم بدفن جسدها في مسكنه، وأن تُعامل كما لو كانت زوجته. وفي حالة عدم تمكن والداها من العثور على أي شخص على استعداد للامتثال لطلبه، يضطر في هذه الحالة أن يقوم بدفنها خارج منطقة إقامة شعب لوه. ولكنه يبذل قصارى جهده للعثور على مدفن لها لدى إحدى الرجال من منطقته وذلك اعتقادًا بأن دفنها خارج منطقة إقامتهم سيترتب عليه لعنة المتوفاة لأفراد أسرتها الأحياء.

وفي السنوات الأخيرة، تزايدت أعداد النساء البالغات العازبات، وتزايدت أيضًا معدلات وفياتهن، وما ترتب عليه من تذمر أباءهن نتيجة المكان الذي يجب أن يدفنوا فيه بناتهم.

(6-2-1-4) الفتاة غير المتزوجة

يتم دفنها بالجانب الأيسر من منزل والدتها. ولا يتم تنفيذ أي طقس من الطقوس بعد دفنها.

(2-4) الاقتضاء بما حدث مع الأسلاف

لقد توقف شعب لوه عن القيام ببعض الشعائر الخاصة ببعض الطقوس نتيجة لإغفالهم القيام بها مع أسلافهم. وخير دليل على ذلك، توقفهم عن ذبح الديك في طقس "البورو" من أكثر من مائة عام، وذلك لأنهم خلال إقامة هذا الطقس أثناء وفاة "أوسواجو" – الذي يعد أعظم أجداد لوه-نسوا أن يقوموا باصطحاب الديك معهم أثناء ذهابهم لساحة المعركة السابقة، ونتيجة لعدم قيامهم بذبحه في طقس أعظم أجدادهم توقفوا عن ذبحه نهائيًا في طقوس الموت.

ولكن في الوقت الراهن، أصبح الالتزام بهذا المبدأ يتآكل، حيث أن العديد من الناس يؤدون الطقوس بالطريقة التي يختارونها، متجاهلين ما تم فعله مع أسلافهم.

(3-4) الانتماء الطائفي الديني

تختلف طقوس الدفن والموت باختلاف الطوائف الدينية. فعلى سبيل الذكر، يستخدم المنتمين للطائفة الكاثوليكية المياه المقدسة المأخوذة من النبع الموجود داخل الكنيسة في عملية الدفن، ولكن بقية الطوائف لا تستخدم هذا الماء المقدس. كما أن كل كنيسة لها ترانيمها الخاصة التي تستخدمها في طقوس الموت.

وفي حالة وفاة شخص وثني، لا يترأس أي من موظفي الكنيسة لطقوس الوفاة الخاصة به، ويقتصر الحضور على أقاربه وبعض المعزيين دون وجود أعضاء الكنيسة. ويقوم في هذه الحالة أحد الحاضرين بترديد ترنيمة معينة بينما يقوم البقية من الناس بإلقاء التراب في القبر.

وسنتطرق هنا بالحديث بشيء من التفصيل عن الكنيسة الأفريقية المستقلة (Roho)، حيث يتبع في الأساس أعضاء كنيسة "روهو" الطرق التقليدية الخاصة بشعب لوه في أداء الطقوس، ولكنهم يتأثرون أيضًا إلى حد ما بالمسيحية بسبب انغماسهم المبكر في الدين المسيحي. فعلى سبيل المثال، لدى كنيسة "روهو" طقس يسمى "شير" chier، ويقصد به القيامة. ويقوم خلاله منظم الطقس بجمع المساهمات والتبرعات من أجل

أسرة المتوفى الباقية على قيد الحياة. كما يقوم أعضاء "روهو" بتأدية طقس "البورو" للمرأة المتوفية رغم أنه طقس مخصص لبكار السن من الرجال، ويطلقون عليه "سودا" suda. ويؤكدون على أنه مماثل لطقس "البورو". وخلال طقس "السودا"، يقوم الناس بالذهاب إلى مكان مقدس ويقومون بعزف الموسيقى لطرد الأرواح الشريرة.

على ما يبدو ولكن هناك ثمة اختلافات قائمة بين طلاً من طقسي "البورو" و"السودا". ففي طقس "البورو"، يرتدي بعض الرجال ملابس المحاربين ويذهبون إلى ساحة المعركة السابقة بصحبة ماشيتهم. بينما في طقس "السودا"، يرتدي جميع الناس الزي الخاص بالكنيسة الإفريقية المستقلة، ويذهبون إلى مكانهم المقدس. هذا بالإضافة إلى أن كافة الرجال والنساء الذين ينتمون إلى نفس كنيسة "روهو" يتوجب عليهم حضور طقس "السودا" حتى لو لم يكونوا على صلة بالشخص المتوفى.

وكذلك تختلف طريقة التعبير عن الحزن وقت الدفن باختلاف الانتماء الطائفي، حيث رصدت الدراسة الميدانية أن بعض الناس يعبرون عن حزنهم بطريقة لوه التقليدية، بينما يتبع آخرون الطريقة المسيحية في التعبير عن حزنهم على نفس الشخص المتوفي.

(4-4) الأدوار الجندرية

يتجلى تقسيم الأدوار الجندرية بوضوح خلال طقوس الموت لدى شعب لوه. حيث تقوم المرأة بإعلان الوفاة، كما تقوم النساء المتزوجات بإعداد وطهي الطعام في طقسي "الياوضوت" و"التيدو". بينما يذهب الزوار والأقارب المباشرين الذكور إلى ساحة المعركة السابقة خلال طقس "البورو"، بينما تنتظر النساء أمام ساحة منزل المتوفي في انتظار عودة الموكب.

(5) خاتمة

تجلى لنا في متن هذا المقال أن طقوس الموت لدى شعب لوه تمنح الفرصة لهم للتعبير عن مشاعرهم من الألم والحزن العميق من خلال البكاء بمرارة والغناء الرثاء

الخاصة بهم، فضلاً عن كونها مناسبة يتم فيها استعراض ثراء المتوفي وعظمته وأقدميته. كما تتيح هذه الطقوس الفرصة لأقارب المتوفي إرضاء المتوفي من خلال تقديم الطعام والرقص. لذا نجدهم يبذلون قصارى جهدهم لإقامة طقوس الموت، ويحرصون على تكرارها عدة مرات -خاصة الطقوس التي يتم بها تقديم الطعام للمتوفي-، بالرغم من دخلهم وحياتهم البسيطة. زمن ناحية أخرى، تمثل طقوس الوفاة فرصة جيدة لرؤية الأقارب والوالدين، وخاصة بالنسبة للأزواج المتزوجين، حيث تتيح الفرصة للمرأة المتزوجة حديثًا زيارة منزل والديها.

وبالنظر لطقسي "الياوضوت" و"التيدو" لنجدهم يمثلون تكلفة باهظة تقع على عاتق أقارب المتوفي وأسرته الباقية على قيد الحياة، بينما تمثل للزوار والضيوف وسائل ترفيه رائعة، يكنهم من خلالها مقابلة الأصدقاء والرقص والاستمتاع بالطعام.

وفي الوقت الحالي، لم يعد الالتزام بأداء وحضور طقوس الموت أمرًا واقعيًا، حيث يتردد الكثير من الأفراد الذهاب لحضور تلك الطقوس، ويقتصر فقط بتقديم التعازي والمواساة عبر وسائل الاتصال، كالبريد، الفاكس، والاتصالات الهاتفية. كما أن معرفة ودراية الأجيال الجديدة بتلك الطقوس أصبحت محدودة عما سبق. وقد تجلى ذلك في الحوار الذي دار بين المؤلف الأصلي للمقال وبين أحد كبار السن بأرض لوه، وذلك عندما سأله عن كيفية الحداد على المتوفي، حيث أظهر وقتها الرجل العجوز حزنه الشديد مردداً "لم يأتني شاب من هذا الجيل وطرح على سؤالك هذا، للأسف سوف ينسون يومًا ما كل طريقة حقيقية اتبعناها لسنوات عديدة ".

وفي هذا الصدد، يمكن أن نشير إلى أهم العوامل المسؤولة عن حدوث هذا التغيير، والتي يتجلى أهمها في؛ انتشار المسيحية وتعدد كنائسها بأرض شعب اللوه، والتي كان لها تأثير مباشر على طرق أداء طقوس الموت. حيث يوجد بموقع الدراسة سبع طوائف مسيحية ومستقلة. وكان أكثرها تأثيرًا في الحياة اليومية الكنائس الأفريقية المستقلة. فضلاً عن بعض العوامل الأخرى التي كان لها تأثير في إحداث التغييرات التي طالت طقوس الموت، كارتفاع معدلات التفاعل الاجتماعي بين شعب اللوه عما سبق،

فقد ساهم تطوير البنية التحتية وتوفير شبكة المواصلات الجيدة في حدوث التلاقي المستمر بين الأفراد عما كان سابقًا، بالإضافة إلى تطور وسائل الاتصال بكافة أشكالها.

قائمة المراجع

1. Evans-Pritchard, E. E. 1965 (1949). **Luo tribes and clans**. In (E. E. Evans-Pritchard, ed.) The Position of Women in Primitive Societies and Other Essays in Social Anthropology, pp.205-227. Faber and Faber Ltd., London.
2. Millikin, A. S. (1906). **Burial customs of the Wa-Kavirondo of the Kisumu Province**. Man, 6 (35): 54-55.
3. Mboya, P. 1986 (unpublished). **Luo Customs and Beliefs**., translated by Jane Achieng (1938, Luo Kitgi gi Timbegi).
4. Southall, A. (1952). **Lineage Formation among the Luo**. Memorandum of International African Institute, No. 26. Oxford University Press, London.